الشعر العربي ومراحل تطوره

مقدمة :

إنّ الفنون الأولى التي ظهرت في الوطن العربي قديماً وبين القبائل العربية هُو **الشعر والخطابة**، وهو من أكثرِ الفنون التي يهواها العرب لما فيها من كلمات تتجسّد بروح كاتبها عندما يقوم بإخراج كلمات ذُو معنى وقيمة تشعر بأنّها تخرج مِن قلب الشاعر، والشعر موجودٌ مُنذ أقدمِ العصور، واشتهر العرب بالفصاحةِ والشعر، والدليلُ على ذلك أنّ الله تعالى قَد أنزلَ القرآن باللغةِ العربيّة ليتحدّى بهِ أهلُ قريش الذينَ اشتهروا بالشعر والفصاحة، وقد كان قديماً مَن يستطيع أن يكتبَ الشعر ويلقيه يكون مِن سادةِ قومهِ ويُمجّدونهُ، لذلكَ، فإنّ للشعر العربي أهميّة كبيرة يُمكن من خلالهِ معرفةِ البيئة والثقافة في زمنِ الشاعر، وبالتالي إنّ الشعر العربي يتطوّر ويظهرُ بأشكالٍ مُختلفة في كلّ عصر.

مراحل تطور الشعر العربي :

مِن المعروف أنّ الشعر القديم يختلفُ اختلافاً كلّياً عن الشعر في الوقت الحاضر، وأهمّ ما يميّز الشعر القديم حِرصهِ على **الوزن والقافية**، وتكوّن البيت على الصدر والعَجز، والشعر القديم الذي لا يدخلُ فيهِ الوزن والقافية لا يعتبرُ شِعراً، بل يخرج إلى الخَطابة أو فصاحةِ فِي الحديث، وبعد ذلكَ ظهرت الكتب التي تقوم على تدريسِ الأوزان والقوافي ليعتمد عليها الشعراء فِي إبداعِ النصوص واستخراجِ أبياتٍ موزونة، وظهور كتب أخرى تقوم على جمعِ وتدوينِ وتصنيفِ الشعر إلى مجموعاتٍ بالاعتمادِ على أغراضِ وموضوعاتِ الشعر، وعليه، نجد المؤرخون قد اعتبروا الشعر القديم حافلاً لغرضِ الامتاعِ والنفعِ بنقلِ المشاعر أو الحكمة أو لأي غرض ذو قيمة، فَهو مصدرَ طرب لدى العرب، يحمل فيه الأخلاق العربية، ويُعبّر عن الانتماء والحب.

الشعر الجاهلي :

عُرف الشعر الجاهلي في هذا العصر بالشِّعر التقليدي أو الكلاسيكي ، وعبّر الشعر الجاهلي عن أسلوب الحياة العربية ، وصوّرها بِدقّة عالية عكس فيها أوجه الحياة المتعدّدة، ولهذا سُمّي بـ (ديوان العرب)، أي إنّه الموسوعة التي تحتوي كل الأخبار والقصص، فنجد فيه وَصْفَ الخِيام، والرحلة، ووصف الحيوانات، ورحلات الصيد، والحروب ، كما نجد **المدح، والغزل، والهجاء ، الرثاء**. حتى قيل إنّ أفضل القصائد التي كتبها العرب هي تلك التي كُتبت بماء الذّهب وعُلّقت على جدار الكعبة.

وقد بدأت القصيدة الجاهلية **بالمقدمة الطللية** التي يقف فيها الشاعر على الأطلال، فيبكي على الديار الخالية، ويصف الآثار التي خلت من أحبّائه بعد رحيلهم، ثمّ يصف الرحلة، وعناء السفر، ومعالم الطريق، ووحوش الصحراء وحيوانها وغيرها، لينتقل بعدها إلى الغزل بذكر المحبوبة والتّغني بجمالها وأخلاقها، وقد يذكر بعض المغامرات التي عاشها معها قبل رحيلها، وتنتهي هذه القصيدة إلى الموضوع الرئيس الذي يريد أن يتحدّث عنه الشاعر، وقد يكون مديحاً، أو فخراً، أو، حماسةً، أو هجاءً، أو تعصّباً لقبيلته، أو غيرها.

من أشهر شعراء العصر الجاهلي هم أصحاب **المعلّقات السبعة**، وقيل العشرة، وهم **: امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شدّاد، والحارث بن حلزة، والأعشى، والنابغة الذبياني، وعبيد بن الأبرص.**

شِعر صدر الإسلام :

ارتبط الشّعر الإسلامي بظهور الدّعوة الإسلاميّة التي حملها الرّسول محمد (ص)، ونجد الشعراء استبسلوا في الجهاد بشعرهم لنصرة الدين الجديد، ومحاربة أعدائهم بالشعر، والفخر بالنبي (ص) وهجاء قريش وتسجيل الغزوات. وعلى المستوى اللغويّ، فإننا نجد اللغة المُستخدمَة في قصائدهم واضحة ،سهلة ، ليّنة، بعيدة عن الغرابة والغموض والرموز المُبهَمة، وتستند إلى أبعاد تاريخيّة دينية .

من هؤلاء الشعراء : **حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير.**

الشعر الأموي :

ازدهر الشعر في العصر الأمويّ واتسعت مواضيعه، وتطوّرت أساليبه، وأصبحت معانيه وألفاظه أكثر رقّة ولطافة متماشية لحالة العصر الجديد، والمظاهر السياسية، والدينية، والثقافية؛ فقد ظهرت الخلافات السياسيّة، والقَبَلية، والمذهبية، وقد خاض حرب هذه الأحداث الشعراء، وتحيّز كل شاعر إلى جماعته يدافعون عنهم وينشرون أفكارهم ومفاهيمهم، ويمكننا القول أن الشعراء والأُدباء عامّةً كانوا يُمثّلون الصحافة المحلية لتلك العصور العربية القديمة.

وقد نظم الشعراء في هذا العصر في مواضيع كثيرة في الشعر منها ما كانت موجودة من قبل في الجاهلية والإسلام، فتوسّعوا فيها وأكثروا منها، ومنها ما هو جديد ابتكروه استناداً على ظروف الحياة ومتطلباتها، ومنها ما كان له أثر من الجاهلية والإسلام، فأضافوا عليها وعدّلوا قواعدها حتى جعلوها غرضاً مُستقلاً بحدّ بذاته، **كالفخر، والمدح، والهجاء، والوصف، والغزل، والخمريّات، والنقائض**.

من أشهر شعراء العصر الأموي : **الأخضل، والفرزدق، وجرير (شعراء النقائض)، وبشار بن برد، والمُقنّع الكندي** ،و شعراء(الغزل العذري) : **جميل بثينة، وقيس ليلى** ، وغيرهم .

الشعر العباسي :

تطورّت الأساليب الشعرية في العصر العباسي بسبب اطّلاع الشعراء على **الثّقافات الأجنبية** التي وسّعت مداركهم، وزادت من معلوماتهم، إلى جانب **تطّور الحياة الحضارية**. فنجد أن الشعراء قد مالوا إلى الأساليب السهلة والمفهومة المنسوجة من واقع الحياة، وابتعدوا عن الألفاظ الصعبة التي قلّ استعمالها أو هُجِرت، واعتمدوا على المُحسّنات البديعية، والتجديد في الألفاظ تبعاً لتطّور الأمور، حتى وصلت الحال عند مجموعة من الشعراء إلى استخدام ألفاظ غير عربية في الشعر.

لقد نظم شعراء الدولة العباسية الأساليب الشعرية في ضوء حضارة الدولة وثقافتها، وطريقة تذوقها للفنون **فالطّابع الحضري** تغشاه الأناقة في كل جوانبه، وهو ما يدلّ على التطور في الأذواق، الرّقي في الأفكار، ورقيها.

من أشهر شعراء العصر العباسي : **المتنبي، والأصمعي، وأبا فراس الحمداني، وأبا العلاء المعرّي، وأبا نواس، وابن الرومي، وابن الفارض، وأبا العتاهية**، وغيرهم من الشعراء.

الشعر الأندلسي :

ظهر الشعر الأندلسي في ظروف جديدة لا مثيل لها في المشرق العربي، ظروف اتّصلت **بالطبيعة الأندلسية** وتنوُّعها، وأخرى اتّصلت **بالتّكوين الثقافي السّكاني**، إذ نرى العرب يختلطون لأول مرة مع أجناس لاتينيَّة، وقوطيّة، وبربريَّة، إضافة إلى اليهود على أرض واحدة، وتتعايش كل هذه الأجناس تحت سماء واحدة تضمّ الأديان السماوية الثلاثة: الإسلام، واليهودية، والمسيحيَّة.

انساق الأندلسيون وراء أهل المشرق في أغراض الشعر التقليدية، كما في **الوصف، ورثاء الممالك، والشكوى**، وقد أكثروا من **الوصف** حتى أننا نستطيع أن نستخلص من شعرهم صورة واضحة للحياة الأندلسية في شتّى نواحيها، **فوصفوا الأندلس** بما فيها من مدن، ومتنزّهات، وعجائب العمارة، والأودية، والجبال، والبساتين، والرياض، والأزهار، والثمار، والفصول الأربعة، والبحيرات، والسواقي، كما وصفوا الولائم الملكية، والأطعمة، والزينة، والعطور، والملابس، والموسيقا، إضافة إلى اللهو والمجون، وهكذا نجد التنوّع والتجديد في فن الوصف. وظهر شعر خاص بالغناء عُرف باسم **الموشحات**.

من أشهر الشعراء والوشاحين **: أبا البقاء الرُّندي، وابن حمديس، ولسان الدين الخطيب، وولّادة بنت المستكفي، وعبادة بن ماء السماء، وابن خفاجة، والمعتمد بن عبّاد، وغيرهم.**

الشعر الحديث :

في سنةِ 1930م ظهرَ **الشاعر أدونيس** الذي يعتبر مِن أهمّ شعراءِ الحداثة لأنّهُ جمعَ بينَ الثقافة العربيّة الكلاسيكيّة والحديثة والمعاصرة، وبالتالي كان مِن أهمّ نقاد العرب والذي وضعَ أساسيّات شعر النثر التي ظهرت في زمانه وعلى يده، وأغلبِ ثقافاته كانت تبنى على الفلسفة والإبداع الشعري ، مِما جعل هذا اللون متاح وأضافهُ إلى عالمِ الشعر فِي الوطن العربي .

أمّا فِي الوقت الحالي تغيّرَ الشعر العربي عمّا كانَ سابقاً ليصبحَ عبارة عن شعر حُر تتجسّد كلماتهُ باستخدامِ مفرداتٍ وكلماتٍ لها مَعنى ومغزى عظيم، وهذا النوع منَ الشعر قد إنتشرَ كثيراً خصوصاً بينَ أهم شعراءِ العصر الحديث ليتغنّى بهِ الشاعر مِن خلال إلقاء هذهِ الكلمات المُعبّرة سواء كانت غزليّة أو شعبيّة أو سياسيّة ودينيّة ، لذلكَ الشّعر العربي لهُ مكانةٍ عندَ الكثير منَ الناس ولا يُمكِن أن يُستغنى عَنِ الشعر فهوَ دائماً يصفّ إلى جانب الواقع والحقيقة وأيضاً المشاعر الخلاقة والنبيلة.

من اشهر شعراء العصر الحديث : أدونيس ، أحمد شوقي ، حافظ ابراهيم ، بدر شاكر السياب ، محمد مهدي الجواهري ، و غيرهم .

نموذج شعري في العصر العباسي / للشاعر (المتنبي)

أنَا الذي نَظَـرَ الأعْمَـى إلى أدَبـي ... وَأسْمَعَتْ كَلِماتـي مَنْ بـهِ صَمَـمُ

أنَامُ مِلْءَ جُفُونـي عَـنْ شَوَارِدِهَـا ... وَيَسْهَـرُ الخَلْـقُ جَرّاهَـا وَيخْتَصِـمُ

وَجاهِلٍ مَـدّهُ فِي جَهْلِـهِ ضَحِكـي ... حَتَّـى أتَتْـه يَـدٌ فَـرّاسَـةٌ وَفَـمُ

إذا رَأيْـتَ نُيُـوبَ اللّيْـثِ بـارِزَةً ... فَـلا تَظُـنّـنّ أنّ اللّيْـثَ يَبْتَسِـمُ

وَمُهْجَةٍ مُهْجَتـي من هَمّ صَاحِبـها ... أدرَكْتُـهَا بجَـوَادٍ ظَـهْـرُه حَـرَم

الخَيْـلُ وَاللّيْـلُ وَالبَيْـداءُ تَعرِفُنـي ... وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَـمُ

يَا مَـنْ يَعِـزّ عَلَيْنَـا أنْ نُفَارِقَهُـم ... وَجدانُنا كُلَّ شـيءٍ بَعدَكـمْ عَـدَم

مَا كـانَ أخلَقَنَـا مِنكُـمْ بتَكرِمَـةٍ ... لَـوْ أنّ أمْرَكُـمُ مِـن أمرِنَـا أمَـمُ